

السنة الخامسة بعد المئة

فيها قطع مسلم بن سعيد والي خراسان النهر إلى التُّرك، وأوغَلَ في البلاد حتى وصل أفشينة - مدينة من مدائن الصُّغد^(١) - فصالحه ملكها على مال وستة آلاف رأس، وعاد ليقطع النهر، فتبعه نفر من التُّرك، فلم يظفروا منه بطائل.

وفيها غزا الجراح بن عبد الله الحَكَمي - وكان على أرمينية وأذربيجان - فأوغَلَ في بلاد اللان، وجاوز بَلَنْجَر^(٢)، ففتح حصوناً كثيرة، وأصاب غنائم عظيمة.

وفيها غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم، فقتل وسبى، وبعث سرية في ألف فارس، وأوغَلوا في بلد الروم، واشتغلوا بالتهب، ولم يحفظوا المضائق، ولم يدعوا عليها رجالاً، فلما عادوا إلى الدَّرْب وجدوا العدو قد أخذ عليهم [المضيق]، فيقال: إنهم قد أُصيبوا جميعاً^(٣).

وفيها توفي يزيد بن عبد الملك، وولي أخوه هشام.

الباب العاشر

في ولاية هشام بن عبد الملك بن مروان^(٤)

ومولده سنة اثنتين وسبعين بدمشق في العام الذي قُتل فيه مصعب، وكنيته أبو الوليد، وهو من الطبقة الرابعة من أهل الشام.

وأُمُّه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي. وقيل: اسمها فاطمة، وقيل: مريم^(٥)، وكنيتها أمُّ هشام.

(١) الصُّغد - أو السُّغد - ناحية كبيرة فيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند، وقصبتها (أي: مدينتها) سمرقند (وتردّد ذكرها فيما سلف). وأفشينة: موضع وراء نهر الصُّغد، كما في «الروض المعطار» ص ٣٢٢، وسمهاها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ١/ ٢٣١ أفشينة، وينظر فيه أيضاً ٣/ ٢٢٢.

(٢) اللان: بلاد واسعة في طرف أرمينية، وبلَنْجَر: مدينة ببلاد الخَزَر (بلاد الترك) خلف باب الأبواب (مدينة على بحر قزوين). ينظر «معجم البلدان» ١/ ٤٨٩ و ٢/ ٣٦٧ و ٥/ ٨ - ٩.

(٣) ينظر «تاريخ الطبري» ٧/ ٢١، و«المنتظم» ٧/ ٩٦. وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٤) في (ص): فصل في ولاية هشام.

(٥) بعدها في (خ) (والكلام منها): وقيل رهب(؟) وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١٠.

[قال هشام:] وكانت حمقاء، تركبُ الوسائد وتزجرُها مثل الخيل، وتعمل من الكُنْدُر^(١) تماثيل على صورة الجواري، وتُسَمِّي كلَّ تمثال باسم جارية، وتنادي: يا فلانة ويا فلانة. فطلقها عبد الملك لحمقها. وقيل: كانت أشجعيّة. ولما سار عبد الملك لقتال مصعب بن الزبير كانت حاملاً به، فقتل ابنُ الزبير ووضعته أمّه، وبلغَ عبدُ الملك، فسَمَّاه منصوراً تفاؤلاً، وسَمَّته أمّه هشاماً باسم أبيها، فلم ينكر عبدُ الملك ذلك^(٢).

وكان يزيد بن عبد الملك قد عهد إليه، ثم بايع بعده لولده الوليد بن يزيد، فلما بلغ الوليدُ ندم يزيد، وأراد هشاماً أن يكون بعد الوليد بن يزيد، فامتنع، وكان مسلمةُ هو الذي أشار على يزيد^(٣)... وكان عُمر الوليد يومئذ اثنتي عشرة سنة، وقيل: إحدى عشرة سنة. فلما بلغ الوليد كان أبوه إذا رآه قال: الله بيني وبين مَنْ جعلَ هشاماً بيني وبينك. يعني مسلمة^(٤).

ثم شرع يزيد بن عبد الملك في خلع هشام وتولية الوليد قبله، فأدركه الموت^(٥)، وكان هشام بعيداً عنه بالرُّصافة بمكان يقال له: الزيتونة، فيه قصوره، [و] جاء البريد بالخاتم والقضيب، فركب إلى دمشق وهو يومئذ ابن أربع - أو ثلاث - وثلاثين سنة^(٦).

ذكر بيعته:

ببيع في شعبان سنة خمس ومئة، ولم يل أربعة إخوة الخلافة غير بني عبد الملك: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام.

(١) هو ضرب من العُلك. (القاموس: كندر).

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٣١٠/٧، و«تاريخ» الطبري ٢٥/٧.

(٣) في (خ) (والكلام منها): على يزيد بن الوليد بن يزيد. وفي هذا الكلام سقط. وتام الكلام أن مسلمة بن عبد الملك هو الذي أشار على يزيد بن عبد الملك بولاية العهد لهشام بن عبد الملك، ثم من بعده لابنه الوليد بن يزيد. ينظر «أنساب الأشراف» ٣١٢/٧ و٤٧٦، و«تاريخ» الطبري ٢٠٩/٧، و«العقد الفريد» ٤٤٢/٤، و«الأغاني» ٣/٧، و«المنتظم» ٦٦/٧.

(٤) المصادر السابقة.

(٥) لم أقف على من ذكر هذا.

(٦) تاريخ الطبري ٢٥/٧، والكامل ١٢٤/٥.

[قال الواقدي:] وكان أحولَ ظاهرَ الحَوَل، ويلقَّب بالأحول المشؤوم^(١). وكان عبد الملك قد رأى في منامه أنَّ أمَّ هشام لَطَعَتْ رأسَه^(٢) عشرين لَطْعَةً، فبعث إلى ابن المسيَّب فسأله، فقال: تلد غلاماً يملك عشرين سنة.

[قال المسعودي:] ولما وَلِيَ هشام عرض الجند، فمرَّ به رجلٌ تحته فرس نُفُور، فقال له هشام: ما حملك على أن تركبَ هذا؟ فقال: ما فرسي بنفور، ولكنه رأى حَوْلَتِكَ، فظنَّها عين عَزون^(٣) البيطار، وكان عَزون كأنَّه هشام في حَوْلَتِه، فقال له هشام: لعنك الله ولعن فرسك. وتضاحك الناس.

[قال المسعودي:] وهشام أوَّل من رفع تقبيل الأرض واليد من الخلفاء؛ لَمَّا بُويع دخل عليه رجلٌ فقَبَّل الأرض، ومال إلى يده ليقبَّلها، فقال [له] هشام: مه، إنه لا يفعلُ هذا من العرب إلا الهَلُوع، ومن العجم إلا الحَضُوع، من عادَ لمثله أوجَعْتُهُ ضرباً. فانتَهَى الناس^(٤).

[قال أبو القاسم الدمشقي:] وكانت دار هشام بدمشق عند الخَوَاصين اليوم، وبعضُها مدرسةُ نور الدين ابن زنكي رحمه الله^(٥).

[قال:] وكان طرازه وثيابه تُحْمَل على تسع مئة جمل^(٦) [ومعناه: خزائنه، لا ملبوس بدنه].

- (١) ينظر «الأغاني» ٩/٧، وفيه قول الوليد بن يزيد في هشام: هذا الأحول المشؤوم.
- (٢) في «أنساب الأشراف» ٣١٨/٧ (والخبر فيه): «فلقت رأسه، فلطعت منه عشرين لطة». ومعنى لطعت: لَحَسَتْ.
- (٣) في مطبوع «مروج الذهب» ٤٧٦/٥ (والخبر منه كما ذكر المصنف): غزوان. وفي «أنساب الأشراف» ٣٢٠/٧ (والخبر فيه بنحوه): أبو جبرون. وجملة «قال المسعودي» السالفة بين حاصرتين من (ص).
- (٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٧١/٤٨ (طبعة مجمع دمشق) مختصراً في ترجمة عَقَال بن سُبَّة. ولم أقف عليه عند المسعودي في «مروج الذهب». وما سلف بين حاصرتين من (ص).
- (٥) مختصر تاريخ دمشق ٩٧/٢٧. وترجمة هشام بن عبد الملك وقعت ضمن خرم من «تاريخ دمشق» لذا لم أُجَلِّ عليه.
- (٦) المصدر السابق ٩٨/٢٧، والكلام الآتي بين حاصرتين من (ص). ثم لم يرد فيها الكلام بعده إلى آخر ترجمة عكرمة مولى ابن عباس.

وكان لا يلتفتُ إلى أولاد عمر بن عبد العزيز، ويُظهر أنه يرَضَى لهم ما رضي لهم أبوهم، وفي باطنه العداوةُ لأبيهم^(١).

ولما وليَ عَزَلَ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ عن العراق وخراسان وولاياته كلها، وولَّى ذلك خالدَ ابنَ عبد الله القسري في شِوَال. وقيل: إنما فعل ذلك في سنة ستِّ ومئة^(٢).

وفيها أقام هشام الحلبَةَ للخيل، فكانت عشرةَ آلاف^(٣) فرس له ولغيره، ولم يجتمع مثلُ ذلك في جاهليَّة ولا إسلام، وأقام على ذلك مدَّةً خلافيته، وكانت الحلبَةُ كلَّ يوم في زيادة.

وفيها أمر بحفر القُنْيِ^(٤) والآبار والمصانع^(٥) بين مكة والمدينة والشام، وأجرى فيها المياه.

وفيها قتل هشامُ غَيْلانَ القَدْرِي^(٦).

وحجَّ بالناس عبد الواحد بن عبد الله النَّصْرِي^(٧) وهو على مكة والمدينة. وقيل: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي^(٨)، وخطب بالناس بمكة قبل الظهر^(٩) قبل يوم التروية، فعابه الناس، ونسبوه إلى الجهل، فقال: عطاءُ بنُ أبي رباح أمرني بهذا. وبلغ عطاء، فقال: ما أمرته.

(١) المنتظم ٩٩/٧.

(٢) تاريخ الطبري ٢٦/٧ (في أحداث سنة ١٠٥)، وسيدكره المصنف أول سنة (١٠٦).

(٣) في «مروج الذهب» ٤٦٦/٧: أربعة آلاف.

(٤) جمع قنأة، وهي الآبار التي تُحفر في الأرض متتابعة ليُستخرج ماؤها ويسبح على وجه الأرض. «النهاية» (قنا). وجاء في سياق آخر في «مختصر تاريخ دمشق» ٩٨/٢٧ أن هشاماً هو الذي حفر الهَيَّ وعمله. والهَيَّ المَرِيّ: نهران بإزاء الرقة والرافقة، ذكرهما ياقوت في «معجم البلدان» ٤١٩/٥.

(٥) جمع مصنع، وهو شبه الحوض. يجمع فيه ماء المطر ونحوه.

(٦) كذا وقع الكلام في (خ) مختصراً والكلام منها فقط، وسترده ترجمته بعد ترجمته.

(٧) في (خ) (والكلام منها): الأنصاري، وهو خطأ.

(٨) في «تاريخ» الطبري ٢٦/٧، و«الكامل» ١٢٦/٥ أن إبراهيم بن هشام بن إسماعيل هو الذي حجَّ بالناس في هذه السنة (يعني سنة ١٠٥)، والنصري على مكة والمدينة.

(٩) في (خ) (والكلام منها): بعد الظهر، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٢٦/٧، و«الكامل» ١٢٦/٥. وسترده قصة بنحوها أوآخر أحداث سنة (١٠٩) (قبل التراجم).

وكان العامل على مكة والمدينة والطائف عبد الواحد النَّصْرِي^(١)، وعلى العراق عُمر بن هُبيرة، وقيل: خالد القسري، وكان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكِنْدِي، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس^(٢).
وفيها توفِّي

الحَكَم بن عْتِيبَة

كنيته أبو عبد الله، من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل الكوفة، كان مولى لِكِنْدَة. وُلد هو وإبراهيم النَّحْعِي في سنة واحدة. وكان في أصحابه مثل الزُّهْرِي في أصحابه، وكان عالماً رفيعاً كثير الحديث، أبيض الرأس واللحية.
توفِّي بالكوفة سنة خمس ومئة، وقيل: سنة خمس عشرة ومئة^(٣).

عكرمة مولى ابن عباس

كنيته أبو عبد الله، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة. كان عبداً لابن عباس، أصله من البَرَبَر، وكان لحُصَيْن بن أبي الحُرِّ العنبري، فلما وُلِّي ابنُ عباس البصرة لعلِّي عليه السلام؛ وهبَه له، فقبله ابنُ عباس منه^(٤).
ومات ابنُ عباس رضي الله عنه وعكرمة عبداً، فبيع، فاشتراه خالد بن يزيد [بن معاوية] من علي بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار، فبلغ ذلك عكرمة فأتى علياً، فقال له: بعته علم أهلك بأربعة آلاف دينار! فراح إلى خالد بن يزيد فاستقاله، فأقاله، فأعتقه علي^(٥).

(١) في (خ): البصري، وفي «تاريخ» الطبري ٢٨/٧: النصري، وكلاهما خطأ.

(٢) تاريخ الطبري ٢٨/٧، والكامل ١٢٦/٥.

(٣) وهو الأصح كما ذكر الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٢٢٥/٣. ولم أفق على من ذكر أن وفاته سنة خمس ومئة، وُذكر في المصادر في وفاته السنوات (١١٣) (١١٤) (١١٥). وتنظر ترجمته في «طبقات» ابن سعد ٤٥١-٤٥٠/٨.

(٤) تاريخ دمشق ٢٠٤/٤٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) طبقات ابن سعد ٢٨٢-٢٨٣/٧، وتاريخ دمشق ٢١٢/٤٨. وما سلف بين حاصرتين منهما للإيضاح.

وقال عكرمة: كان [ابن عباس] يجعل في رجلي الكَبَل يعلمني القرآن ويعلمني السنة^(١).

وقال: قرأ ابن عباس: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] قال: قال ابن عباس: لم أدر نجا القوم أم هلكوا. فما زلت أُبين له أبصره حتى عرف أنهم قد نجوا. قال: فكساني حلة^(٢).

وكان عمرو بن دينار يسمي عكرمة: البحر؛ لغزارة فضله^(٣).

وقال سعيد بن جبير: لو كفَّ عكرمة عنهم من حديثه لشدت إليه المطايا^(٤).

سئل عكرمة عن يوم القيامة: أمِن أيام الدنيا، أم من أيام الآخرة؟ فقال: صدره من أيام الدنيا، وآخره من أيام الآخرة^(٥).

ذكر وفاته:

توفي سنة خمس ومئة وهو ابن ثمانين سنة؛ مات هو وكثير عزة في يوم واحد، وصلي عليهما في موضع الجنائز بعد الظهر، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس^(٦).

وعجب الناس لاجتماعهما في الموت، واختلاف رأيهما؛ عكرمة، يُظن أنه يرى رأي الخوارج، يكفر بالنظرة، وكثير شيعي يقول بالرجعة^(٧).

وقيل: سنة ست ومئة، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة ثمان وهو ابن أربع وثمانين سنة^(٨).

(١) طبقات ابن سعد ٧/٢٨٣، وتاريخ دمشق ٤٨/٢١٠. وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/٢٨٣، وتاريخ دمشق ٤٨/٢١١.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/٢٨٤، وتاريخ دمشق ٤٨/٢١٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/٢٨٤، وتاريخ دمشق ٤٨/٢٣٥.

(٥) تاريخ دمشق ٤٨/٢٣٠.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/٢٨٨، وتاريخ دمشق ٤٨/٢٥٤.

(٧) المصدران السابقان.

(٨) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/٢٨٩، و«تاريخ دمشق» ٤٨/٢٥٤-٢٥٧. قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»

٣٤/٥: الأصح سنة خمس.

روى عن ابن عباس، وأبي هريرة، والحسين بن علي، وعائشة، رضي الله عنهم، وقال: أدركتُ في هذا المسجد - يعني في مسجد المدينة - مئتين من الصحابة.

وقد روى عن ابن عمر، والحسن بن علي، وأبي سعيد الخُدري، وروى عنه خلقٌ كثير من علماء الأمصار.

وقال موسى بن يسار: رأيتُ عكرمة جائياً من سمرقند ومعه غلام وسمعته وهو بسمرقند وقيل له: ما أقدمك إلى هذه البلاد؟ فقال: الحاجة^(١).

وكان لا يقبل إلا من الأمراء، وحمله طاوس اليماني على نجيب ثمن بستين ديناراً^(٢).

واختلفوا فيه، فضغفه قوم، ووثقه آخرون؛ قال ابن سعد: كان عكرمة كثير العلم، بحرأً من البحور، وليس يُحتج بحديثه، وتكلم الناس فيه^(٣).

وقال مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، فطلبه بعض ولاة المدينة فتغيب عند داود بن حُصين، فمات عنده^(٤).

سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فقيل له: أٌحتج بحديث عكرمة؟ قال: نعم^(٥).

غَيْلَانُ الْقَدْرِي

[ذكره أبو القاسم بن عساكر^(٦)، فقال: هو غَيْلَانُ بن يونس، وقيل: ابن مسلم بن أبي غيلان] مولى عثمان رضوان الله عليه، كانت داره بباب الفراديس بدمشق شرقي المقابر، وكنيته أبو مروان، وكان كاتباً ويقول بالقدر.

(١) تاريخ دمشق ٤٨/٢٢٤ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) المصدر السابق ٤٨/٢٢٤ و٢٢٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/٢٨٨.

(٤) تاريخ دمشق ٤٨/٢٥٢ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) المصدر السابق ٤٨/٢٣٢. ومن قوله: وكان لا يلتفت إلى أولاد عمر (أواخر فقرة ولاية هشام) إلى هذا

الموضع، ليس في (ص).

(٦) تاريخ دمشق ٥٧/٤٢٠ (طبعة مجمع دمشق).

قال الشعبي: دخل عَيْلَانُ على عُمَرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو مصفّر اللون، فقال له عمر: ما الذي بك؟ فقال: أمراضٌ وأحزان. فقال: لَتَصُدُقَنِي. فقال: دُفْتُ سُلوَ الدنيا، فوجدته مرّاً، فأسهرت ليلي، وأظمأتُ نهارِي، وكلُّ ذلك حَقِيرٌ في جنبِ ثوابِ الله وعقابه. فقال له عمر: ويحك، ومع هذا تقول بالقَدْر! أَرْجِعْ. فرجع وتاب.

فقال عمر رضي الله عنه: اللهمَّ إن كان صادقاً فاقْبَلْ توبته، وإن كان كاذباً فسلِّطْ عليه من يقطع يديه ورجليه ولسانه، واجْعَلْهُ عبرةً للعالمين. فلما مات عُمَرُ أظهر ما كان يُبطن^(١).

[قال المدائني]: فاستدعاه هشام بن عبد الملك وقال له: ويحك يا عَيْلَانُ! قد أكثر الناسُ فيك، فعرفنا مذهبك، فإن كان حقّاً أتبعناك، وإن كان باطلاً نزعنا عنك. قال: أو تُعفيني؟ قال: لا أعفيك^(٢).

وكان عَيْلَانُ يقول: إن معاصي العباد خلق لهم، وإن الله لا يقدرها عليهم. فأخبر هشام، فأمر بقطع يديه ورجليه ولسانه، ففعل به ذلك، وأُلقيَ على مَرْبِلةٍ؛ فمرَّ به رجل، فقال: يا عَيْلَانُ، هذا قضاءُ الله وَقَدْرُهُ. فأوماً إليه وقال: كذبت، ما هذا قضاءُ الله وقدره، هذا قضاءُ هشام. ثم أمر به هشام فُصِّل^(٣).

وقال عمر بن المهاجر صاحب عمر بن عبد العزيز: وقفتُ عليه وقلتُ له: أدركتكَ دعوةُ العبدِ الصالحِ عمر؟ فأوماً برأسه، أي: نعم^(٤).

وقيل: إن عَيْلَانُ كان يقول وهم يمثلون به: أدركتني دعوةُ العبدِ الصالحِ.

وكان عَيْلَانُ يبسط لسانه في بني أمية ويعيب عليهم.

واجتمع جماعة عند هشام بن عبد الملك فقال: ما تقولون فيما فعلنا بعَيْلَانُ؟ كأنه حكَّ في نفسه شيء. فقالوا: يا أمير المؤمنين، لَقَتَلَكْ عَيْلَانُ أَفْضَلُ من قتلِ ألفٍ من التُّركِ والرومِ^(٥).

(١) لفظ الخبر من أكثر من رواية في «تاريخ دمشق» ٥٧/٤٢١ و ٤٢٩ و ٤٣٢.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/٣٣٢-٣٣٣.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٥٧/٤٣٨-٤٤٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) المصدر السابق ص ٤٣١.

(٥) ينظر المصدر السابق ص ٤٤٥-٤٤٦.

كُثَيِّر [ابن عبد الرحمن]^(١) بن الأسود

ابن عامر بن عويمر بن مَخْلَد الشاعر، كنيته أبو صخر، [الخزاعي] الحجازي^(٢)، ويُعرف بابن أبي جُمعة جدّه لأُمّه، وأُمّه جُمعة بنت الأشيم بن خالد^(٣). وقيل: جمعة بنت كعب بن عمرو^(٤)، من الطبقة الثالثة من الشعراء من أهل المدينة، وكان شيعياً، وكان يفدُ على بني أمية؛ عبد الملك، والوليد، وسليمان، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ويزيد بن عبد الملك.

وقال ابن ماکولا: كان يتقلّب في المذاهب^(٥).

وكان من فحول الشعراء، ورد كتابٌ من الشام إلى مكة بلعن أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه على المنبر، فسمعهم كُثَيِّر، فقام وأخذ بأستار الكعبة [وقال:]

لَعَنَ اللّٰهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وبنيه من سُوقَةٍ وإمام
أَيُّسَبُّ الْمُطَهَّرُونَ أَصُولًا^(٦) والكرامُ الأحوالِ والأعمام
يَأْمَنُ الطَّيْرُ وَالْوَحْشُ وَلَا يَأْ مَنْ آلَ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ!
فَضْرِبُوهُ حَتَّى أَثْخَنُوهُ^(٧).

وكان عند يزيد بن عبد الملك وقد أتى بِآلِ الْمُهَلَّبِ بن أبي صُفْرَةَ [فقال:]

حَلِيمٌ إِذَا مَا نَالَ عَاقِبَ مُجْمِلًا أَشَدَّ الْعِقَابِ أَوْ عِفَالٍ لَمْ يُثْرِبِ^(٨)

(١) ما بين حاصرتين من المصادر. ولم ترد هذه الترجمة في (ص).

(٢) في (خ) (والكلام منها): الغفاري، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٢٨٧/٥٩ (طبعة مجمع دمشق)، ولفظة «الخزاعي» بين حاصرتين منه، ومن المصادر.

(٣) الأغاني ٤-٣/٩.

(٤) المنتظم ١٠٣/٧، ولم أقف على هذا القول عند غيره.

(٥) الإكمال ١٦١/٧، وتاريخ دمشق ٢٨٨/٥٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) في (خ) (والكلام منها): إماماً، بدل: أصولاً. والمثبت من «المنتظم» ١٠٣/٧.

(٧) المنتظم ١٠٣/٧، ولفظ «وقال» السالف بين حاصرتين منه. والآيات بنحوها في «نسب قريش» ص ٦٠، و«معجم الشعراء» للمرزباني ص ٢٤٠، ونُسبت فيهما لكثير بن كثير بن عبد المطلب.

(٨) ثُرِبَ عليه: قَبَّحَ وعَيَّرَه. قال المرزوقي في «شرح الحماسة» ١٧٥٨/٤: إذا نال الجاني عليه عاقبه وهو مُجْمِلٌ، أي: لا يشتط ولا يسرف، ولكن ينهج طريق العدل في الانتقام.

فَعَفَوْ^(١) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحِسْبَةَ فَمَا تَحْتَسِبُ مِنْ صَالِحٍ لَكَ يُكْتَبِ
 أَسَاؤُوا فَإِنْ تَغْفِرَ فَإِنَّكَ أَهْلُهُ وَأَفْضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةٌ حِلْمٌ مُغْضَبٍ
 فقال له يزيدُ بنُ عبد الملك: أَطَّتْ بِكَ الرَّجْمَ، وَلَوْلَا قَدْحُهُمْ فِي الْمُلْكِ لَعَفَوْتُ
 عَنْهُمْ^(٢).

دخل كُثَيْبٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْشَدَنِي فِي الْإِخْوَانِ. فَأَنْشَدَهُ:

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمَشَارِكُ فِي الْمُوَافَقِ رَّ وَأَيْنَ الشَّرِيكَ فِي الْمُرِّ أَيْنَا
 الَّذِي إِنْ حَضَرْتَ سَرَّكَ فِي الْحَا يَّ وَإِنْ غَبْتَ كَانَ أَدْنَى وَعَيْنَا
 ذَاكَ مِثْلُ الْحُسَامِ أَخْلَصَهُ الْقَيْدُ نْ جَلَاءً فَاذْدَادَ حُسْنًا وَزَيْنَا
 أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَبْتَ عَنْهُمْ بَدَّلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنَا
 وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعاً أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الرَّجَالِ عَلَيْنَا
 فقال له عبد الملك: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا كُثَيْبُ، فَأَيْنَ الْإِخْوَانِ؟ غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ:

صَدِيقُكَ حِينَ تَسْتَغْنِي كَثِيرٌ وَمَا لَكَ عِنْدَ فَقْرِكَ مِنْ صَدِيقِ
 فَلَا تُنَكِرْ عَلَى أَحَدٍ إِذَا مَا طَوَى عَنْكَ الزِّيَارَةَ عِنْدَ ضَيْقِ
 وَكُنْتَ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غَيْظِي عَلَى حَنْقِي وَأَشْرَقَنِي بِرَيْقِي
 غَفَرْتُ ذَنْبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ مَخَافَةَ أَنْ أَكُونَ بِمَا صَدِيقِ^(٣)
 دخل كُثَيْبٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دِلَاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمُسَدِّي نَسَجَهَا وَأَذَالَهَا^(٤)
 فقال له عبد الملك: هَلَّا قَلَّتْ كَمَا قَالَ الْأَعَشَى لِابْنِ مَعْدِي كَرِبَ:
 وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ شَهْبَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا

(١) كذا في (خ)، و«أنساب الأشراف» ٢٨٢/٧، و«المنتظم» ١٠٧/٧. وفي «شرح الحماسة» للمرزوقي ١٧٥٨/٤، و«تاريخ دمشق» ٤٠١/٨ (مصورة دار البشير - ترجمة الضحاك بن رمل): فعفوا. وهو الأشبه.
 (٢) الخبر بنحوه في المصادر السابقة. وقوله: أَطَّتْ، أي: حَنَّتْ. نقله ابن الجوزي في «المنتظم» ١٠٧/٧ عن أبي بكر ابن الأنباري.

(٣) تاريخ دمشق ٢٩٩/٥٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) الدَّلَاصُ: الدَّرْعُ اللَّيْنَةُ، وَالْمُسَدِّيُّ: الَّذِي يُسَدِّي الدَّرْعَ أَي: يَنْسِجُهَا، وَأَذَالَهَا، أَي: أَطَالَ دَبْلُهَا.

كنتَ المُقَدَّم غيرَ لابسِ جُنَّةٍ^(١) بالسيفِ تضربُ مُعلِماً أبطالها
فقال له كُثِيرٌ: ذاك إنما وصَّفه بالحُرْق، وأنا وصَّفتُك بالحَزْم^(٢).

قال عبد الملك لكُثِيرٌ: سلَّ حوائجَكَ. فقال: تُزوِّجني عَزَّة. فأرسل إليها، فقالت:
أبعَد ما شَبَّ بي وفضحني في العرب، لا كان ذلك أبداً. وماتت قبله^(٣).

قيل لكُثِيرٌ: ما بقي من شعرك؟ قال: ماتت عَزَّة فما أطرب، وذهب الشباب فما
أعجب، ومات ابن ليلي فما أرغب، وإنما ينشأ الشعر من هذه الجلال^(٤).

وأراد بابن ليلي عبد العزيز بن مروان، وقيل: بشر.

ذكر طرف من أخبارهما:

كان أولُ عشقه لها أنه مرَّ بنسوة من بني ضَمْرَةَ ومعه غنم، فأرسلنَ إليه عَزَّة وهي
صغيرة، فقالت: يُقلن لك النسوة: بعنا كبشاً نسيئةً إلى حين تعود. فأعجبته، فأعطاهما
كبشاً، فلما عاد جاءت امرأةٌ منهنَّ إليه بدراهمه، فقال: أين الصبيَّة التي أخذت الكبش
مني؟ قالت: ما تصنعُ بها؟ هذه دراهمُك. فقال: لا والله، لا آخذُ الدراهم إلا ممن
دفعتُ إليها الكبش. ولم يأخذ شيئاً، وقال:

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوقَي غريمه وعَزَّة ممطولٌ معنَى غريمها
نظرتُ إليها نظرةً ما يسرُّني بها حُمُرُ أنعامِ البلادِ وسودها^(٥)
وقال الزبير بن بَكَّار: خرج كُثِيرٌ يلتمس عَزَّة ومعه شُنُّ^(٦) فيه ماء، فضربه الحرُّ،
فبيس، فلاح له كوخٌ، فقصدَه، فإذا فيه عجوزٌ، فقالت: مَنْ أنت؟ فقال: كُثِيرٌ. قالت:

(١) الجُنَّة: الدرع.

(٢) تاريخ دمشق ٢٩٩/٥٩-٣٠٠ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) بنحوه في «المنتظم» ١٠٤/٧.

(٤) عيون الأخبار ٢/١٨٥، وتاريخ دمشق ٥٩/٣٢٥. وبنحوه في العقد الفريد ٥/٣٢٦.

(٥) الأغاني ٩/٢٥-٢٦، والمنتظم ٧/١٠٥-١٠٦.

(٦) الشَّنُّ: القرْبَةُ الخَلْقُ الصغيرة يكون فيها الماء أبرد من غيرها. ووقع في «تاريخ دمشق» ٥٩/٣١٦ و«المنتظم»
٧/١٠٦: شُنِّيَّة (تصغير شُنَّة، وهما بمعنى).

قد كنتُ أتمنّى لقاءك، فالحمدُ لله الذي أرايك. فقال لها: وما الذي تلتمسينه مني؟
قالت: ألسَتِ القائل:

إذا ما أتتْنَا خُلَّةً كي تُزِيلَهَا أبِينَا وقلْنَا الحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ^(١)
سُنُولِيكَ عُرْفًا^(٢) إِنْ أَرَدْتِ وصالَنَا ونحنُ لَتلكِ الحَاجِبِيَّةِ أَوْصَلُ
قال: بلى. قالت: فهلاً قلتُ كما قال سيِّدك جميل:

يا رَبِّ عارِضَةٍ عَلِينَا وَضَلَّهَا بِالجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الهَازِلِ
فأَجَبْتُهَا بِالقولِ بعدَ تَأْمَلِ حُبِّي بُشِينَةً عنِ وِصَالِكِ شاغلي
لو كان في قلبي كَقَدْرِ قُلامَةٍ فضلاً لغيرك ما أتتكِ رسائلي
قال: فقلتُ: دعي هذا واسقيني ماءً. فقالت: لا والله، وإلَّا نَكَلْتُ بُثِينَةَ، لا أسقيك
ولو مِتَّ عَطْشًا. فركَضْتُ فرسي، ومَضَيْتُ أَطْلُبُ الماءَ، فما وصلتُ إليه إلا بعدَ جهد
كِدْتُ أن أَموتَ عَطْشًا^(٣).

قال يحيى الأموي: لَقَيْتُ امرأةً كَثِيرًا وكان دَمِيمًا ضَيْلًا، فقالت: مَنْ أنت؟ قال:
كثير. قالت: تسمع بالمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ من أن تراه. فقال: مَهْ، فأنا الذي أقول:

فإنْ أَكْ مَعْرُوقِ العِظامِ فإِنِّني إذا ما وَزَنْتِ القومَ بالقومِ أَوْزُنُ
فقالت: كيف تكون بالقومِ وازناً وأنت لا تُعرفُ إلا بَعْرَةَ؟! فقال: والله لئن قلتُ
ذلك، لقد رفع الله بها قَدْرِي، وَزَيْنَ بها شِعْرِي، وإنها لكما قلتُ:

وما روضةً بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَى جَحْثَاتِهَا وَعَرَارُهَا^(٤)
بأطيبَ من أَرْدانِ عَزَّةٍ مَوْهِنًا وقد أوقَدتُ بِالْمَنْدَلِ الرِّطْبِ نارُهَا^(٥)
من الحَفِيرَاتِ البِيضِ لم تَلُقْ شَقْوَةً وبالحَسَبِ المَكْنُونِ صَافٍ نِجارُهَا^(٦)

(١) الخُلَّةُ يعني الخليفة. وقصد بالحاجبية: عَزَّة.

(٢) أي: معروفًا.

(٣) تاريخ دمشق ٣١٦-٣١٧/٥٩، والمنتظم ١٠٦/٧-١٠٧.

(٤) الحَزْنُ من الأرض: ما غلظ، والجَحْثَاتُ والعرار: نَبْتانِ طَيِّبانِ الرائحة.

(٥) الأردان، جمع رَدْن، وهو القَرَزُ أو الحَزْرُ، والمَوْهِنُ: نَحْوُ من نصف الليل، أو بعد ساعة منه، والمَنْدَلُ: العود الطيب الرائحة.

(٦) الحَفِيرَاتُ جمع حَفِيرَةٍ، وهي شديدة الحياء، والنَّجارُ: الأصل والحَسَبُ.

فإن بَرَزْتُ كَانَتْ لِعَيْنِكَ قُرَّةً وإن غِبتَ عنها لم يَعُمَّكَ عَارُهَا
فَقالت له : أرايتَ حينَ تذكُرُ طيِّبَها ؛ فلو أن زنجيةً استجمرتَ بالمندلِ الرُّطبِ لطابَ
ريحُها ! ألا قلتَ كما قال امرؤ القيس :

خليلِيَّ عوجا^(١) بي على أم جُنْدُبِ نَقَضَ لُباناتِ^(٢) الفؤادِ المَعْدَبِ
ألمَ تَرَ أني^(٣) كلِّما جئتُ طارقاً وجَدْتُ بها طيباً وإن لم تَطْيِبِ
فقال كُثيِّرٌ : الحقُّ لهو - والله - خيرٌ ما قيل ، لهو - والله - أنعتُ لصاحبتِه مَتي^(٤) .

وقال ابن عائشة : وقف كُثيِّرٌ على قوم يفضُّلون عليه جميلاً ويقولون : هو أصدقُ في
حبه من كُثيِّرٍ ، وهم لا يعرفونه ، فقال لهم : كيف تفضُّلون جميلاً على كُثيِّرٍ وقد بلغ
جميلاً عن بُنيته ما يكره؟ فقال :

رمى الله في عيني بُشينةً بالقذى وفي العُرِّ من أنيابها بالقوادحِ
وكُثيِّرٌ عَزَّةٌ أتاه من عَزَّةٍ بعضُ ما يكره ، فقال :

خليلِيَّ هذا رَبُّعٌ عَزَّةٌ فاعقِلا قَلُوصِيكُما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ
وما كنتُ أدري قبلَ عَزَّةٍ ما البُكا ولا موجباتِ الحبِّ^(٥) حتى تولَّتِ
فقلتُ لها يا عَزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنتُ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ
ووالله ما قاربتُ إلا تباعدتُ ووالله ما أكثرتُ إلا أقلتُ
أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةٌ لَدَيْنا ولا مَقْلِيَّةٌ إن تَقَلَّتِ
فلا يحسبُ الواشون أن صبابتي بعَزَّةٍ كانت غَمرةً فَتَجَلَّتِ
ومن أرق ما قال :

هنياً مريئاً غير داءٍ مُخامرٍ [لعزَّة من أعراضنا ما استحلَّتِ]

(١) في «ديوان» امرئ القيس ص ٤١ ، و«تاريخ دمشق» ٣٢٠/٥٩ : مرأ .

(٢) جمع لبانة ، وهي الحاجة من غير فاقة .

(٣) كذا في (خ) و«تاريخ دمشق» ٣٢٠/٥٩ ، وفي «الديوان» : ألم تَرياني . وهو الوجه .

(٤) تاريخ دمشق ٣٢٠-٣١٩/٥٩ .

(٥) في «الشعر والشعراء» ٥١٤/١ ، و«التذكرة الحمدونية» ١٧٢/٦ : موجعات الحزن . وفي «الأغاني» ٢٩/٩ :

موجعات القلب . وفي «الحماسة البصرية» ١٢٣/٢ : موجعات البين .

من أبيات^(١).

[وقال: (٢)]

فما أحدث النَّأْيُ الْمُفَرَّقُ بَيْنَنَا سَلُّوا وَلَا طَوْلُ اجْتِمَاعِ تَقَالِيَا^(٣)
وما زادني الواشون إلا صَبَابَةً ولا كثرة النَّاهِينِ إِلَّا تَمَادِيَا^(٤)
مات كُثِيرٌ وعكرمةٌ في يوم واحد بالمدينة، فاختلفت^(٥) قريش لكُثِيرٍ، ولم يوجد
لعكرمة من يحملهُ.

وقال سليمان بن أفلح: استشهدني الرشيد هارون شعر كُثِيرٍ، فأخذت في الإنشاد،
فلما جئتُ إلى مدح بني أمية [وقفت]. قال: مالك؟ فأخبرته، فقال: إمضه. وجعل
يتعجب من شعره، فقال له يحيى بن خالد: ما مدحككم به مروان بن أبي حفصة أجود
من هذا حيث يقول:

نورُ الخلافةِ في المهديِّ تعرفُهُ وذلك النورُ في موسى وهارونِ
فقال هارون: دع هذا الكلام يا أبا علي، فوالله، لا يُمدح بشعر مثل شعر كُثِيرٍ حتى
يُحَاكَ لَنَا مِثْلُ طِرَازِ هِشَامِ^(٦).

يزيد بن عبد الملك

ابن مروان، كان صاحبَ لهوٍ وشراب، وكان يقول: عمر بن عبد العزيز كان خيراً
مني لنفسه، وأنا خيرٌ منه للناس.
وكان يزيد قد اشتغل عن الرعيَّةِ بسَلَامَةٍ؛ بالتشديد، وحبَّابة؛ بالتخفيف؛ قيتين من
المدينة ومكة^(٧).

(١) الخبر في «تاريخ دمشق» ٢٩٤/٥٩-٢٩٥ دون ذكر الأبيات إلا البيت الأخير: هنيئاً مريئاً... وفي آخره قول
كُثِيرٍ: فما انصرفوا إلا على تفضيلي

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عددي لفصل البيتين الآتين عما قبلهما.

(٣) تقالباً. أي: تباغضاً.

(٤) تاريخ دمشق ٣٢٣/٥٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) في «الأغاني» ٣٦/٩: فاجتمعت، وفي «تاريخ دمشق» ٣٢٥/٥٩: فأجفَلتُ (أي: أسرع).

(٦) تاريخ دمشق ٢٩٢-٢٩٣، وما سلف بين حاصرتين مستفاد منه.

(٧) من أول ترجمة كُثِيرٍ (الترجمة قبلها) إلى هذا الموضع؛ لم يرد في (ص).

حديث سلامة:

وهي جارية سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل: جارية مصعب بن سهيل، وتُعرف بسلامة القس، وكانت من مولدات المدينة^(١).

أخذت الغناء عن مَعْبُد، وابنِ عائشة، وابنِ سُريج، ومالك بن أبي السَّمْح، وجميلة، وعزّة الميلاء^(٢).

وكانت من أحسن النساء جمالاً وغناءً.

واسم القس عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار، وكان عابداً مجتهداً ناسكاً يُقدّم على عطاء بن أبي رباح في النُّسك، ولعبادته سُمِّي بالقس.

مرّ بسلامة يوماً، فسمع غناءها، فافتتن بها.

قال شيخنا موفق الدين رحمته الله، يرفعه إلى خلّاد بن يزيد قال: سمعتُ شيوخاً^(٣) من أهل مكة، منهم سليمان، يذكرون أنّ القس كان عند أهل مكّة من أحسنهم عبادةً وأظهرهم تبتلاً، وأنه مرّ يوماً بسلامة [جارية كانت لرجل من قريش] فسمع غناءها، فوقف يستمع، فرآه مولاها، فقال له: هل لك أن تدخل فتستمع؟ فتأبى عليه، فلم يزل به حتى تسمع، وقال: أفعندي في موضع لا تراني ولا أراها. قال: أفعل.

فدخل فغنت فأعجبته، فقال مولاها: هل لك أن أحولها إليك؟ فتأبى عليه، ثم سمع غناءها وسمع، ولم يزل حتى شغف بها وشغفت به، وعلم بذلك أهل مكة.

فقلت له يوماً: أنا والله أحبُّك. قال: وأنا والله أحبُّك. قالت: وأحبُّ أن أضع فمي على فمك. قال: وأنا والله. قالت: وأحبُّ أن أُلصق صدري بصدرك، وبطني ببطنك. قال: وأنا

(١) ينظر «الأغاني» ٣٤٦/٨، و١٢٣/١٥، و«تاريخ دمشق» ص ١٨٧ (طبعة مجمع دمشق - تراجم النساء).
(٢) مَعْبُد: هو ابن وهب، وقيل: ابن قطني، مولى ابن قطر، وابن عائشة: هو محمد، أبو جعفر، وابن سُريج: هو عبيد، أبو يحيى، وجميلة هي مولاة بني سليم، وعزّة الميلاء، مولاة للأنصار، سُميت بذلك لميلها في مشيتها، تنظر أخبارهم في «الأغاني» ٦٤/١ و٢٤٨، و٢/١٩٥، و١٠١/٥، و١٨٦/٨، و١٦٢/١٧، وهم من أصول الغناء.

(٣) في (ص)، و«التوابين» ص ٢٣٧: شيوخنا.

والله كذلك. قالت: فما يمنعك؟ فوالله إنَّ المكان لخالٍ. قال: إني سمعتُ أن الله تعالى يقول: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وأنا أكره أن تكون حُلَّةٌ ما بيني وبينك تؤول إلى العداوة يوم القيامة. قالت: يا هذا، أفحسبت أن ربي وربك لا يقبلنا إذا تُبنا إليه؟ قال: بلى، ولكن لا آمن أن أفاجأ.

ثم نهض وعينه تَدْرِفان، فلم يرجع بعد [ذلك] وعاد إلى ما كان عليه من التُّسك^(١). وفيها يقول عبد الله بن قيس الرُّقِيَّات:

لقد فَتَنَتْ رِيًّا وَسَلَامَةً الْقَسَا فلم تتركاً للقسِّ عقلاً ولا حِسًّا^(٢)
وقال الهيثم: اشترى يزيدُ بنُ عبد الملك سلامة قبل الخلافة بأربعة آلاف دينار، فأعجبَ بها، وغلبت عليه، وكان تحته سعدى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ابن عفان^(٣)، ويقال لها: العثمانية؛ تزوجها في حجَّته في أيام أخيه سليمان على عشرين ألف دينار، وتزوج في هذه الحجَّة ربيعة بنت محمد بن عبد الله بن جعفر على عشرين ألف دينار أيضاً، واشترى سلامة في هذه الحجَّة^(٤)، فلما رأَتْ سعدى ميله إلى سلامة اشترتْ له حَبَابَةً، فغلبت عليه، فَلَهَا عن سلامة، ووهبها لسعدى.

وقال الرُّبَيْر بن بَكَّار: كانت سلامة من أحسن النساء وأكملهنّ، قرأت القرآن، وقالت الشعر وروثه، وكان الأحوص وعبد الرحمن بن حسان يجلسان إليها ويُشَدَانِهَا، فعلمت بالأحوص، وصرفت عن عبد الرحمن، فقال^(٥):

(١) التوابين لابن قدامة ص ٢٣٧، وقد أخرج من طريق ابن أبي الدنيا، وهو في «تاريخ دمشق» ص ١٩٠ (طبعة مجمع دمشق - تراجم النساء)، وينحوه في «أنساب الأشراف» ١٩٧/٧، و«الأغاني» ٨/٣٥٠.

(٢) في «الأغاني» ٨/٢٣٥، و«تاريخ دمشق» ص ١٨٧: نفساً.

(٣) كذا في (بخ) (والكلام منها). وهو خطأ، والصواب أنها سَعْدَةُ بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، كما في «أنساب الأشراف» ٧/١٩٩، و«الأغاني» ١٥/١٢٤ (والخبر فيهما بنحوه): وأما تلك فهي زوجة الوليد ابن يزيد. ينظر «الأغاني» ٧/٢٦..

(٤) في «أنساب الأشراف» ٧/١٩٩ أن يزيد اشترى سلامة لما ولي الخلافة، وجاء أول الخبر: قبل الخلافة. وينظر «مروج الذهب» ٥/٤٤٦-٤٤٧.

(٥) هذا الخبر مروى في سلامة جارية يزيد بن معاوية كما في «الأغاني» ٩/١٣٤. والظاهر أن المصنف جعلهما واحداً (إن لم يكن واحداً). وقد فرَّق ابن عساكر أيضاً بينهما في «تاريخ دمشق» (تراجم النساء) ص ١٨٣ و١٨٧.

أرى الإقبال منك على جليسي وما لي في حديثكما^(١) نصيبُ
فقلت سَلَامَةً :

لأنَّ اللهَ علَّقَهُ فؤادي فحازَ القلبَ دونكُم حبيبُ
فقال الأحوص :

خليلي لا تلمها في هواها ألدُّ العيش ما تهوى القلوبُ
فخرج ابنُ حسان إلى يزيد بن عبد الملك^(٢) ممتدحاً له، فأكرمه ووصله، فقال: يا
أمير المؤمنين، عندي نصيحةٌ، فقال: وما هي؟ قال: جارية بالمدينة لامرأةٍ من قريش.
ووصفها له، وقال: لا تصلح إلا لك. فبعث إلى عامله، فاشتراها وحملها إليه، فوَقعت
منه موقِعاً.

وعاد عبد الرحمن إلى المدينة ومر بالأحوص، وإذا به متبسّم، فأنشده:

يا مبتلى بالحبِّ مفدوحاً ولا قياً منه تباريحاً
أجمه الحبُّ فما ينثني إلا بكأس الحبِّ مصبوحاً
وصار ما يُعجبُهُ مُغلقاً عنه وما يكره مفتوحاً
قد حازها مَنْ أصبَحَتْ عنده ينالُ منها الشَّمَّ والريحاً
خليفةُ الله فسَلَّ الهوى فعزَّ قلباً منك مقروحاً^(٣)
وقال ابن عساكر^(٤):

بعث يزيدُ بنُ عبد الملك إلى المدينة، فاشترى سَلَامَةً بعشرين ألفَ دينار، فخرج
أهلها يودِّعونها، فامتلاً المكان بالناس، فقالت:

فارقوني وقد علمتُ يقيناً ما ليمنُ ذاقَ فُرْقَةً^(٥) من إيابِ

(١) في «الأغاني» ٩/ ١٣٤: ... على خليلي وما لي في حديثكُم...

(٢) في «الأغاني» ٩/ ١٣٤: يزيد بن معاوية، والقصة في سلامة جاريته كما سلف قبل تعليق..

(٣) في «الأغاني» ٩/ ١٣٥: مجروحا (وينظر الخبر فيه).

(٤) رجع الكلام على سلامة جارية يزيد بن عبد الملك، وهو في «تاريخ دمشق» ص ١٩١ (طبعة مجمع دمشق - تراجم النساء).

(٥) في «الأغاني» ٨/ ٣٤٣، و«تاريخ دمشق» ص ١٩١: مية.

إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ قَدْ تَرَكَوْنِي قَلْقاً مُوَلَعاً بِحَبِّ الْحِصَابِ^(١)
ثم بكت وبكى الناسُ، وأرسلت إلى كلِّ واحدٍ بثلاثة آلاف درهم^(٢).

حديث حَبَابَة:

وهو لقبٌ لها.

[قال المدائني:] واسمُها العالية، وكنيتها أمُّ داود، وكانت جارية لاحق، وقيل:
لابن مينا، شَبَّ بها وضَّاح اليميني قبل أن تصل إلى يزيد.

وكانت من مولدات المدينة، أخذت الغناء عن ابن سُرَيْج، وابن مُحْرز، ومعبد،
وغيرهم، وكانت من أحسن أهل عصرها وجهاً وغناءً وشمائل^(٣).

وقال المدائني: اشترى يزيد [بن عبد الملك] حَبَابَة في حَجَّتِهِ [التي حجَّها] في خلافة
[أخيه] سليمان بخمسة آلاف دينار^(٤) من عثمان بن سهل بن حنيف^(٥). وبلغ سليمان، فقال:
لقد هممتُ أن أحجر على هذا المائت^(٦) السفية. وكان يزيد يهاؤه ويتَّقيه، فردَّها على مولاها،
فشخص بها إلى إفريقية، فباعها هناك، وبقي يزيد متلهِّفاً متحسِّراً عليها.

فلما ولي الخلافة قالت له سعدى^(٧): هل بقي في قلبك من أمور الدنيا شيء؟ قال:
نعم، حَبَابَة. قالت: وأين هي؟ قال: لا أعلم.

(١) في (خ) (والكلام منها): الحباب (في الموضوعين) بدل: الحصاب، والمثبت من «تاريخ دمشق» ١٨/٣٤١ -
٣٤٢ (مصورة دار البشير - ترجمة يزيد) وص ١٩١ (تراجم النساء) وهو كذلك في «الأغاني» ٨/٣٤٣.
والحِصَاب: لغة في المحصَّب، والمراد به موضع رمي الجمار بمنى. وينظر «معجم ما استعجم» ١/٤٥١،
و«معجم البلدان» ٥/٦٢.

(٢) المصدران السابقان (الأغاني والتاريخ). ومن قوله: وكان تحتها سعدى بنت سعيد بن خالد بن عمرو... إلى
هذا الموضع، ليس في (ص).

(٣) ينظر «الأغاني» ١٥/١٢٢، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/٢٩٨. (وترجمة حَبَابَة ليست في المطبوع من «تاريخ
دمشق»).

(٤) في المصادر: أربعة آلاف. ينظر: أنساب الأشراف ٧/٢٠٠، وتاريخ الطبري ٧/٢٣. والأغاني ١٥/١٢٤،
والمنتظم ٧/١٠٩. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٥) قوله: من عثمان بن سهل بن حنيف، ليس في (ص). وهو في «تاريخ» الطبري ٧/٢٣.

(٦) في (خ): المناقب، والمثبت من (ص)، وهو موافق لما في «أنساب الأشراف» ٧/٢٠٠.

(٧) في المصادر السابقة غير «المنتظم»: سعدة.

فأرسلت ويبحث عن أمرها، فقيل: هي بإفريقية، فأرسلت رجلاً تثقُ به، وأعطته مالا كثيراً، فمضى إلى إفريقية، وبذل في ثمنها عشرة آلاف دينار^(١)، واشتراها وحملها إلى دمشق، ففرحت بها، وألبستها أفخر الثياب والحلي، وقالت لها: إنما اشتريتك ليزيد. فدعت لها.

ثم قالت سعدى ليزيد: أحبُّ أن تمضيَ إلى بستاني بالغوطة تنتزّه [فيه] قال: نعم. وأرسلت إلى البستان، فهيات الأطعمة، وفرشت المقاصير، وجاء يزيد فأكل وشرب، فقالت له سعدى: قد اشتريتُ لك جاريةً تغنيّ أصواتَ حَبَابَةِ. فقال: وأين هي؟ فضربت بينهم ستارة وقالت: يا جارية، غني. فغنت صوتاً كان يزيد يحبه وهو لكثير عزة:

وبين التراقي والفضودِ حرارةٌ مكانَ الشَّجَا لا تستقلُّ فتبردُ^(٢)
فصاح يزيد: صوتُ حَبَابَةِ وربِّ الكعبة، وقام قائماً، فقالت له سعدى: هي حَبَابَةُ، وقد بعثتُ إلى إفريقية، فاشتريتها بعشرة آلاف دينار. فحظيتُ سعدى عنده، وارتفعت منزلتها، وقامت ومضت، وتركته مع حَبَابَةِ في البستان.
فأقام ثلاثة أيام، فأخذ منه الشرابُ يوماً، فصعدَ إلى مستشرفِ عالٍ وقال لها: غني:

وبين التراقي والفضودِ حرارةٌ

فغنتُ، فأهوى بنفسه وقال: أطيرو. وأراد أن يلقي نفسه، فتعلقت به وقالت: لنا فيك حاجة^(٣)، على من تترك الأمة؟! قال: أنت لهم^(٤).
وبلغ أبا حمزة الخارجي، فقال: يطيرُ إلى لعنة الله.

(١) في «أنساب الأشراف» ٢٠٠/٧، و«تاريخ» الطبري ٢٣/٧: أربعة آلاف دينار.

(٢) كذا رواية «المنتظم» ١١٠/٧. وفي «تاريخ» الطبري ٢٣/٧: بين التراقي واللهاة حرارة... ما تطمئنُ وما تسوغ فتبرد. وبنحوه في «أنساب الأشراف» ١١١/٧.

(٣) قوله: لنا فيك حاجة، ليس في (ص). وجاء فيها آخر الخبر ما لفظه: «وفي رواية أنه لما قال: أريد أطيرو، قالت حَبَابَةُ: لنا فيك حاجة».. وهي في «أنساب الأشراف» ٢٠١/٧، و«تاريخ» الطبري ٢٤/٧.

(٤) ينظر إضافة إلى المصدرين السابقين: الأغاني ١٤٠/١٥، و«المنتظم» ١١٠/٧، ومختصر تاريخ دمشق ٣٠٠/٧.

ثم توفيت حَبَابَةً، فكانت سبباً لوفاته؛ بينا هو جالس يوماً [معها] في مستشرف وقد قال للخادم: هذا يوم سروري، فلا ترفعنَّ إليَّ شيئاً من أمور الناس. فأخذت رمانةً فأكلت منها حبةً، فشرقت بها وماتت^(١).

وقيل: إن يزيد رماها بحبة عنب، فدخلت في فيها، فشرقت بها، فماتت^(٢). فتركها في البيت حتى نتنت، وحزن عليها حزناً منعه من الطعام والشراب حتى مات كمدأ.

[قال الهيثم]: وخرج في جنازتها محمولاً فلم تحمله قدماء، فسقط إلى الأرض، فقال لمسلمة: صلِّ عليها. ثم حمل إلى قبرها وهو ينشد [قول كثير]:
وإن تسألُ عنك النفسُ أو تدعِ الصِّبَا فبالرُّغمِ^(٣) أسلُو عنك لا بالتَّجلُّدِ
وكلُّ خليلٍ رائي فهو قائلٌ^(٤) مِن أجلكِ هذا هامةُ اليومِ أو غدِ
ثم حمل إلى قصره، فما خرج إلا على النَّعشِ^(٥).

وأشار عليه مسلمة أن لا يخرج إلى الناس سبعة أيام لثلا يظهر منه شيء يسفّه به^(٦). وقال الهيثم: دفنها ثم نبشها بعد ثلاث وقد نتنت، فرمى بنفسه عليها، ولم يمنعه شدة نتنتها من ذلك، وجعل يلثمها ويشمها، وأعادها إلى قبرها، ولزمه^(٧). وعاش بعدها أربعين ليلة مريضاً، وقيل: خمس عشرة ليلة، وقيل: ثلاثة أيام. وقال الأصمعي: إنه دخل بعد موتها إلى خزائنها ومقاصيرها، فطاف فيها ومعه جارية لها، فترنمت:

(١) الأغاني ١٥/١٤٣، والمنتظم ٧/١١١، ومختصر تاريخ دمشق ٧/٣٠١.

(٢) أنساب الأشراف ٧/٢٠٣، ونسب الكلام في (ص) إليه.

(٣) في المصادر السابقة: فبالرُّغمِ.

(٤) في (خ) (والبيتان منها): وكل رائي فهو لا شك قاتل. والمثبت من «الأغاني» ١٥/١٤٤، وفي «مختصر تاريخ دمشق» ٧/٣٠٢: وكلُّ حبيب زارني.

(٥) بنحوه في «تاريخ دمشق» ١٨/٣٤٢ (مصورة دار البشير - ترجمة يزيد بن عبد الملك).

(٦) تاريخ الطبري ٧/٢٤، وبنحوه في «الأغاني» ١٥/١٤٥. ولم يرد هذا القول في (ص).

(٧) لم أقف على هذا السياق، والذي في «أنساب الأشراف» ٧/٢٠٤، و«المنتظم» ٧/١١١، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/٣٠٢ أنها لما ماتت بقيت عنده ثلاثاً حتى أتت... ثم أذن لهم في دفنها. وينظر «الأغاني» ١٥/١٤٤.

كفى حَزَنًا بِالْوَالِيهِ الصَّبِّ أَنْ يَرَى مَنَازِلَ مَنْ يَهْوَى مُعْطَلَةً قَفْرًا
فَغُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى قَبْرِهَا، فَأَقَامَ ثَلَاثًا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ
الرَّابِعِ وَجَدُوهُ سَاجِدًا عِنْدَهَا مَيِّتًا^(١).

ومات في شعبان^(٢) [يوم الجمعة] لخمسة بقين منه^(٣) [وهذا قول الواقدي وأبي
معشر وغيرهما]^(٤). وقيل: يوم الخميس^(٥). ومات باللقاء بإزبد، وقيل: بالجولان،
فحُمل على أعناق الرجال إلى دمشق، فُدْفِنَ بالبَابِ الصَّغِيرِ.

[قال أبو القاسم ابن عساكر:] قيل: إن حَبَابَةَ مَاتَتْ بَيْتَ رَأْسِ مِنَ الْأُرْدُنِّ، وَدُفِنَتْ
هَنَّاكَ، وَأَقَامَ يَزِيدٌ بَعْدَهَا أَيَّامًا، ثُمَّ مَاتَ، فَدُفِنَ إِلَى جَانِبِهَا^(٦).

وكان سنُّهُ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقِيلَ:
خَمْسًا وَعَشْرِينَ، وَقِيلَ: سَبْعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً^(٧).

ومدَّةُ خِلاَفَتِهِ أَرْبَعُ سِنِينَ وَشَهْرًا، وَقِيلَ: وَسِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: أَرْبَعُ سِنِينَ إِلَّا ثَلَاثَةَ
أَشْهُرٍ^(٨).

وَرُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَمَلِّكُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَالَ آخِرُ مَنْهُمْ: كَذَبَ لَعْنَةُ
اللَّهِ، إِنَّمَا رَأَى أَنَّهُ يَمَلِّكُ أَرْبَعِينَ قَصْبَةً، وَالْقَصْبَةُ شَهْرٌ، فَجَعَلَهَا سَنَةً^(٩).

وقيل: إنه مات بعلة السُّلِّ.

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/٢٠٤-٢٠٥، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/٣٠٢.

(٢) في (ص): واتفقوا على أنه مات في شعبان...

(٣) تاريخ الطبري ٧/٢٢، وتاريخ دمشق ١٨/٣٤٥ و٣٤٦ (مصورة دار البشير - ترجمة يزيد بن عبد الملك).

وقوله: يوم الجمعة (بين حاصرتين) استدركته منهما لقوله بعده: وقيل: يوم الخميس.

(٤) ما بين حاصرتين من (ص)، وكلام الواقدي وأبي معشر في المصدرين السابقين.

(٥) ثقات ابن حبان ٢/٣١٩.

(٦) ينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٧/٣٠٢. ومن هذا الموضع وحتى أول سنة (١٠٦) ليس في (ص).

(٧) ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/٣٤٢-٣٤٣ (مصورة دار البشير - ترجمة يزيد) ولم أفق على من قال: إنَّ سنَّهُ خمس

- أو سبع - وعشرون، وجاء في «المعارف» ص ٣٦٤: أنه بلغ من السنِّ تسعاً وعشرين.

(٨) تاريخ دمشق (النسخة المذكورة في التعليق السابق).

(٩) تاريخ الطبري ٧/٢٢.

وصلّى عليه ابنُه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة وهشامٌ يومئذ بالرّصافة، وقيل: بحمص. وخرج سريره وسلامه خلفه تقول:

لا تَلْمُنَا إِنْ خَشَعْنَا قَد لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلِي
كأخي الداءِ الوجيعِ ثم بات الهمُّ منّي
دونَ مَنْ لي مِنْ ضجيعِ^(١) للذي حلَّ بنا اليؤ
مَ من الأمرِ الفظيعِ كلما أبصرتُ ربّعا
خالياً فاضتْ دموعي قد خلا من سيّدِ كا
نَ لنا غيرَ مُضِيعِ ثم صاحت: يا أمير المؤمنيناه^(٢).

ذكر أولاده:

الوليد؛ وليّ الخلافة، ويحيى، وعاتكة، وأمهم أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف، وعبدُ الله، وعائشة؛ أمهما سعدى^(٣) بنت عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان رضي الله عنه، والعمر لأمّ ولد، وعبدُ الجبار وسليم لأمّ ولد، وهاشم وأبو سفيان لأمّ ولد، وسليمان، وعبدُ المؤمن، وداود، والعوام؛ لأمّهات أولاد. فأما الوليد فسنذكره.

وأما عبد الله فقد ولده سبعة من الخلفاء: أبوه يزيد، وجدّه عبدُ الملك، وجدُّ أبيه مروان، وجدّه لأمّ أبيه معاوية بن أبي سفيان، وجدّه لأمّه عثمان رضي الله عنه؛ لأنّ أمّه سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، [وأمّ عبد الله بن عمرو بن عثمان] ابنة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان لعبد الله هذا ولدٌ عظيم القدر عند المهديّ والرشيديّ اسمه عبد المطلب^(٤).

(١) في رواية «الأغاني» ٣٤٨/٨: ونحيي الهمّ متى... بات أدنى من ضلوعي.

(٢) تاريخ الطبري ٧/٢٢-٢٣. وقال بعده: والشعر لبعض الأنصار.

(٣) في أنساب الأشراف ٧/٢٩٥: سعدة.

(٤) أنساب الأشراف ٧/٢٩٥-٢٩٦، وما سلف بين حاصرتين منه. واسم أم عبد الله بن عمرو حفصة.

وأما العُمُر؛ فكان أحد الأجواد الممدّحين، ولأه أخوه الوليد بن يزيد عَزَوَ الصائفة، وكانت داره بدمشق قَبْلَ^(١) زقاق العجم.

قتله عبدُ الله بن عليّ بنهر أبي فطرس^(٢) سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وفيه يقول

الشاعر:

إذا عدَّدَ الناسُ المكارمَ بينهم فلا يَفْخَرْنَ يوماً على العَمْرِ فاخرُ
فما مرَّ مِنْ يومٍ مِنَ الدهرِ واحدٌ على العَمْرِ إلاَّ وَهُوَ للناسِ غامرُ^(٣)
وهو صاحب سَيْحِ العَمْرِ باليمامة^(٤).

ولما قدَّمه [عبد الله بن] عليّ بن عبد الله ليقتله قال: إني شيخٌ كبير، وإن تركتني كفيئتُك مؤونة قتلي. فقال عبدُ الله بنُ عليّ: قد كان الحسين شيخاً كبيراً فقتلتموه. وضربَ عنقه، فعنَّفَ الحاضرون عبدَ الله بنَ عليّ وقالوا: وهل كان هذا موجوداً في زمن الحسين؟! قتلتَ هذا الجواد الممدَّح^(٥)!

وأما سُليمان بنُ يزيد؛ فكان ممن أعانَ على قتل أخيه الوليد بن يزيد مع يزيد بن الوليد. بعثَ إليه^(٦) عبدُ الله بنُ عليّ جيشاً إلى البلقاء، فقتله. وأما عبد المؤمن بن يزيد فكان يسكن باب الجابية بدمشق^(٧).

(١) في «تاريخ دمشق» ٣١٤/٥٧ (طبعة مجمع دمشق): قبلة.

(٢) في (خ) بطرس، والمثبت من المصدر السابق. ونهر أبي فطرس قرب الرملة بفلسطين. ينظر «معجم البلدان» ٢٦٧/٤ و٣١٥/٥.

(٣) نُسب البيتان في «أنساب الأشراف» ٢٩٥/٧ لإسماعيل بن يسار مولى بني تيم بن مُرّة، وجاء البيت الأول مع بيت آخر في ترجمة العُمُر في «تاريخ دمشق» ٣١٥/٥٧ (طبعة مجمع دمشق) ونُسب فيه لأبي المهاجر معدان مولى آل أبي الحكم.

(٤) السَّيْحُ: الماء الجاري، وسَيْحِ العَمْرِ باليمامة أسفل المجازة. ينظر «معجم البلدان» ٢٩٤/٣.

(٥) الخبر في «أنساب الأشراف» ٢٩٦/٧ مختصر. وما سلف بين حاصرتين مستفاد منه.

(٦) يعني إلى سليمان بن يزيد. وينظر «تاريخ دمشق» ٦٥٤/٧ (مصورة دار البشير).

(٧) تاريخ دمشق ٣٢٠/٤٣ (طبعة مجمع دمشق).

ومن الوافدين على يزيد بن عبد الملك :

الأحوص الشاعر

وهو عبدُ الله [بن محمد بن عبد الله] بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وجدُّ أبيه عاصم بن أبي الأقلح من كبار الأنصار، واسمه قيس^(١) بن عصمة، وابنه عاصم شهد بدرًا، وقُتل يوم الرّجيع، وهو حميُّ الدّبر^(٢).

والأحوص ابن خال حنظلة^(٣) غسيل الملائكة، وكنية الأحوص أبو محمد، [وهو] من الطبقة السادسة من الشعراء الإسلاميين^(٤).

وكان الوليد بن عبد الملك نفاه إلى دَهْلَك - جزيرة بأرض الحبشة - فلم يزل بها أيام الوليد وسليمان، فلما وليّ عُمر بن عبد العزيز رجوع إلى المدينة وقال: قد وليّ رجلٌ أنا خاله، فما يصنع بي - وكانت أمُّ عمر بن عبد العزيز أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأمها بنتُ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري - فبعث عمر رضي الله عنه فنفاه إلى دَهْلَك، فأقام بها. فلما وليّ يزيد بن عبد الملك رجوع إلى المدينة^(٥).

قال المعافى: عزم مَعْبَدُ المَغْنِيّ والأحوص على زيارة يزيد بن عبد الملك فترافقًا، فلما وصلا إلى البلقاء أصابهم مطر في الليل، فأصبحت العُدران مملوءة، فقالا: لو أقمنا يومنا هذا. فأقاما.

(١) يعني اسم أبي الأقلح، وينظر «الأغاني» ٢٢٤/٤.

(٢) قال أبو الفرج (في المصدر السابق): كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه (يعني عاصمًا) بعثًا، فقتله المشركون، وأرادوا أن يصلبوه، فحمته الدّبر - يعني النّحل - فلم يقدروا عليه حتى بعث الله الوادي في الليل (يعني السيل في الوادي) فاحتمله، فذهب به.

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها) وهو خطأ. وذكر الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٦٤ أن حنظلة خال أبي الأحوص... وأنشد بيت الأحوص:

غَسَلْتُ خَالَي الملائكة الأب - رارٌ مَيِّتًا أُكْرِمُ به من صريع

وهو بنحوه في «الأغاني» ٢٣٤/٤ مع بيتين آخرين.

(٤) كذا ذكره ابن سلام في «طبقات فحول الشعراء» ٦٥٥/٢، ونقله أبو الفرج في «الأغاني» ٢٣٣/٤.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٧٨/١٣. وينظر ما سلف في ترجمة عراك بن مالك الغفاري سنة (١٠٤).

ورُفِعَ لهم قصرٌ، وإذا بجارية قد خرجت ومعها جَرَّةٌ، فاستقت من الغدير، فسقطت الجَرَّةُ من يدها، فانكسرت، فجلست تبكي، فسألا عن حالها، فقالت: كنتُ لرجل من قُرَيْشٍ، فاشتراني رجل من بني عامر بخمسين ألفَ درهم، وهو صاحبُ هذا القصر، فنزلتُ من قلبه أطفَ منزلةً، ثم تزوّج ابنةَ عمِّ له، فأساءت إليّ، وكلفني أن أستقي بالجرّة كلَّ يوم من هذا الغدير، فشكوتُ إليه، فقال: إنها ابنةُ عمِّي وأنت أمةٌ، فلم يَشْكُنِي، وربّما أذكر ما كنتُ فيه، فوَقعت الجَرَّةُ من يدي، فانكسرت.

وكان بين أيديهما عودٌ فأخذته وضربتُ به وغنّت تقول:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعرّزُ حَذَرَ العِدَى وبه الفؤادُ مُوَكَّلُ
إني لأمنحك الصُّدودَ وإنني قَسَمًا إليك مع الصُّدودِ لأَمِيلُ
ولقد نزلتُ من الفؤادِ بمنزلي ما كان غيركُ والأمانةُ ينزلي
ولقد شكوتُ إليك بعضَ صَبَابتي ولَمَّا كتمتُ من الصَّبَابَةِ أطولُ
هل عيشنا بك في زمانك راجعٌ فلقد تفحَّشَ بعدك المتعلِّلُ
أعرضتُ عنك وليس ذاك لبَغْضَةٍ أخشى مقالةَ كاشحٍ لا يعقلُ

قال: ثم بكت بكاءً شديدًا حتى أبكتهما. قال: فقلنا لها: لمن هذا الشُّعر؟ قالت للأحوص. قلنا: والصوت؟ قالت: لمَعْبَد. فقلنا: أفنعرِفيهما؟ قالت: لا والله. فقال: أنا الأحوص، وهذا مَعْبَد، ونحن قاصدان يزيد بن عبد الملك، فأنشأت تقول:

إن تراني العَدَاةَ أَسْعَى بِجَرٍّ أستقي الماءَ نحوَ هذا الغديرِ
فلقد كنتُ في رخاءٍ من العَيْدِ شِ وفي كلِّ نعمةٍ وسرورِ
ثم قد تُبصِرانِ ما فيه أَضْبَحُ تُ وماذا إليه صارَ مصيري
أبْلِغَا عني الإمامَ وما يَبُ لُغُ صدقَ الحديثِ مثلُ الخبيرِ
أَنني أَضْرَبُ الخلائقَ بالعُو دِ وَأَحْكَاهُم بِبِمِ وَزِيرِ^(١)
فلعلَّ الإلهَ يُنْقِذُ مَمَّا أنا فيه فإِنني كالأسيرِ
ليتني مِتُّ يومَ فارقتُ أهلي وبلادي وُزرتُ أهلَ القبورِ

(١) البِمْ: الوتر الغليظ من أوتار العود، ويقابله في العود الحديث العُسَيْران، والرَّزِير: الدقيق من الأوتار وأحدها، ويقابل البِمْ في العود. ينظر «المعجم الوسيط».

قال: فلما قدمنا على يزيد أخبرناه خبرها، فأرسل إلى مولاها، فاشتراها بمئة ألف درهم، فلما قدمت عليه حظيت عنده، وبعثت إلينا بالهدايا والألطف^(١).

وقوله: يا بيت عاتكة، ما أراد عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وإنما أراد عاتكة أخرى يقال لها: أم جعفر، كانت عفيفةً سالحة، شَبَّبَ بها الأحوص، وقفت عليه يوماً وهو في نادي قومه، فقالت له: اقضِ ثمنَ الغنم التي اشتريت مني. فقال: والله ما أعرفك ولا رأيتك قبل اليوم! فقالت لقومه: خوِّفوه من الله تعالى. فكَرَّرَ الأيمان أنه ما رآها قبل اليوم، فكشفت وجهها وقالت: يا عدوَّ الله، فأنا عاتكة^(٢) التي شَبَّبت بي وفضحتني في شعرك. فانكسر الأحوص، وبرت المرأة.

وقال الرِّياشي: كتب الأحوص إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من دَهْلَك:

وكيف تَرَى للِنومِ طَعْمًا وَلَذَّةً وخالك أَمْسَى مُوثِقًا في الحَبائِلِ
فَمَنْ كان أَمْسَى سائلاً عن شِماتِهِ ليشمت بي أو شامتاً غير سائلِ
فقد عَجَمَتْ^(٣) مني الحوادثُ ماجداً صَبُوراً على غَمٍّ تلك البِلا بِلِ
إذا سُرِّ لم يَفْرَحْ، وليس لِنَكْبَةٍ أَلَمْتُ به بالخاشعِ المتضائلِ^(٤)

وقال جعفر بن سليمان: ما سمعتُ بأشعرَ من القائل:

إذا رُمْتُ عنها سَلْوَةٌ قال شافعُ من الحُبِّ ميعادُ السَّلْوِ المقابِرُ
فقل له: بلى، الأحوص، حيث يقول:

سَبَّيْ لها في مُضَمِّ القلبِ والحِشَا سَرِيرَةٌ وُدِّ يومَ تُبَلَى السَّرائِرُ^(٥)

(١) ينظر «الأغاني» ١٠٨-١٠٩/٢١، و«مختصر تاريخ دمشق» ٢٧٨/١٣-٢٨٠ (وليس لديّ ترجمة الأحوص في «تاريخ دمشق») وأورد ابن عساكر القصة أيضاً في «تاريخه» ١٩/٦٠٣ (مصورة دار البشير) في ترجمة أم سعيد شاعرة حجازية. ونقل أبو الفرج يثير القصة عن مصعب الزبيري قوله: أظنُّ القصة كلَّها مصنوعة.

(٢) في «الأغاني» ٦/٢٥٨ (والخبر فيه بنحوه): أنا أم جعفر.

(٣) أي: اخترت وامتحت.

(٤) ينظر «الأغاني» ٤/٢٤٧ و٩/٦٦-٦٥.

(٥) الأماي لأبي علي القالي ٢/١٦٦. وفي «الأغاني» ٤/٢٤٨ أن عمر بن عبد العزيز ذكر بيت الأحوص هذا ثم قال: إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول. قلت: وقد قال تعالى: ﴿الْأَحْلَاءُ يَوْمَئِذٍ يَعْضُهُنَّ لِبَعْضِ عَدُوِّ إِيَّالَهُنَّ الْمُنْفِقِينَ﴾. وقال أيضاً: ﴿لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه﴾. ومن قوله: وكان سنُّه ثمانياً وثلاثين سنة (قبل ست صفحات)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).